

من صحابة الرسول

المجموعة الثانية



عبد الله
بن عمر

ناثيس محمد عزت

عبد الله بن عمر

ضاع من أسامة قلمه الخبز الجديد ، وفي نفس
اليوم رأى مع صديقه أيمن قلما مثله ، فاتهمه بسرقة
قلمه ، وطلب منه أن يرده إليه . فغضب أيمن لاتهم
صديقه أسامة له بالسرقه ، ودافع عن نفسه فقال :
إن والده اشتراف له هدية بمناسبة عيد ميلاده .

وتشاجر الولدان ، وكل منهما يدعى ملكية
القلم ، وأخيرا اتفقا على أن يكون صديقهما إيهاب
حكما يقضى بينهما بالحق . واستمع إيهاب إلى حجة
كل من الولدين أسامة وأيمن ، ثم وعد بأن يصدر
حكمه في الغد .

وفي البيت جلس إيهاب يفكر في الأمر طويلا ،
فسأله والده : ما الذي يشغل بالك يا إيهاب ؟ .

قال إيهاب : أنا فحار يا أباي . فكل من صديقي
أسامة وأمين ، فصرَّ على موقفه ، ويدعي أن قلم الحبر
له ، فلمن القلم يا ترى ؟ .

قال والده : لقد قلت يا ولدي مهمة صعبة . فهل
أنت كفؤ لها ؟ لقد رفض مثل هذا التكليف من هو
أكفأ وأعقل منك ، فكيف تقبله وأنت أقل منه
بكثير ؟

ألا تعلم أن عبد الله بن عمر ، رفض أن يقضى بين
الناس وقال : إن القضاة ثلاثة : قاض يقضى بجهل
فهو في النار ، وقاض يقضى بهوى ، فهو في النار
أيضا ، وقاض يجتهد وينصيب فهو كفاف لا وزر ولا
أجر .

فبهت إيهاب وقال : ويل لي ! مالي ولهذا القلم
اللعين ؟ سأعتذر لصديقي غدا عن هذا التكليف

المهلك . ولكن هل لك يا أبى أن تحكى لى قصة عبد
الله بن عمر بن الخطاب ؟ إن نسبة وحده إلى أبيه ،
يُشَرُّ بقصة رائعة .

قال والده : هذا حقُّ يا إيهاب ، فمن كان فحشد
- صلى الله عليه وسلم - أستاذه ، وعمر بن الخطاب
- رضى الله عنه - أباه ، لهو شخصٌ عظيم ، يجبُ
عليك أن تعرف سيرته . فقد أسلم عبد الله بن عمر
بمكة ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه وهو فى الثالثة عشرة
من عمره ، فكان ابنا من أبناء الإسلام ، الذين شَبَّوا
وترغزَعوا على أخلاق الإسلام وقيمة الحميدة . وقد
أراد سيدنا عمر أن يشارك ابنه عبد الله فى غزوتى
بدر وأُحُد ، ولكن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - رده خوفاً عليه لصغر سنه يومئذ ، ولكنه
أجازة يوم الخندق ، وكان حينذاك ابن خمس عشرة

سنة . ولم يَدْخُ بعد ذلك آية غزوة ، إلا وشارك فيها بنفسه .

قال إيهاب فتعجباً : شارك في الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة فقط ! إن هذا عجيب ! .

قال والده : لقد قلت لك إنه ابن الإسلام ، وقد كان يُحبُّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - كل الحب ، ويُحبُّ أن يتأسى به ، ويفعل مثل ما يراه يفعل . فإتما صلى الرسول صلى عبد الله ، وإتما دعا الرسول دعا عبد الله ، وفي هذا الطريق مشى الرسول ، مشى فيه عبد الله ، وفي هذه البقعة نزل الرسول عن ناقته وصلى ، نزل عبد الله وصلى . حتى إن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت عنه : ما كان أحدُ يتبع آثار النبي - صلى الله عليه وسلم - في منازلهم ، كما كان يتبعه ابنُ عمر .

وعلى الرغم من أن عبد الله بن عمر ، كان خريصاً على اتباع سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والعمل بها ، ومحاكاته في كل ما يفعل : إلا أنه لم يحدث عنه قط ، إلا إذا كان وإثقا من كل كلمة يقولها . أو كل حرف ينطق به ، وكان يحذر كل الحذر ، أن يبدل حرفاً مكان حرف ، أو أن يضع كلمة مكان كلمة . ولذلك كان شديد الحذر في الفتيا أيضا .

فإذا جاءه أحد يستفتيه في أمر ما ، وهو غير وإثق من إجابته عن هذا الأمر ، رد عليه بقوله دون إخراج أو خجل : لا أعلم لي بما تسأل عنه .

ضحك إيهاب وقال : لم يعد هناك من يقول مثل هذا القول ، فكل إنسان يدعى العليم ، ويبدل برأيه فيما يعلم وفيما لا يعلم .

قال والدّه : وكذلك هناك من يتحمّل مسؤولية
القاضي ، وهو غير كفء لها .

فاوماً إيهاب برأيه خجلاً ، فقال والدّه : أعتقد
أنك علمت الآن خطأك . فقد عرض سيّدنا عثمان
رضي الله عنه - منصب القاضي على عبد الله بن
عمر أكثر من مرّة ، فاعتذر عن قبوله لنلا يخطيء أو
يحكم بهوى نفسه ، فيكون نهايته النار والعياد
بالله . وأقنع سيّدنا عثمان برأي عبد الله بن عمر ،
ولكنه طلب منه أن يحفظ برأيه هذا ، والأ يذلي به
لأخذ ، فلا يجد من يقبل أن يشغل هذا المنصب .

وكما رفض عبد الله بن عمر منصب القضاء ،
رفض كذلك منصب الخلافة أكثر من مرّة .

فعندما قُتل عثمان بن عفان ، قال الناس لعبد الله :
أنت يا عبد الله سيد الناس وابن سيد الناس ، فاحرّج
تُبايع لك الناس .

فردّ عليهم بقوله : إني والله لن استطعت ، لا
بِهراق بسبي محجّم من دم .

قالوا له : لتخرجن أو لنقتلك على فراشك .
فأعاذ عليهم ما قاله أولا ، فاطمَعوه ثم خَوّفوه فلم
يغيّر ذلك من رأيه .

قال إيهاب : أهذه الدرّجة كان يخشى الخلافة ،
ويخشى المسئولية ؟ .

قال والده : إنه لم يخش المسئولية ، ولكنّه خاف أن
يكون سببا في قيام فتنة ونزاع بين المسلمين ،
فاشترط لقبوله الخلافة ، أن يختاره كلُّ المسلمين
طائعين مُختارين .

قال إيهاب : حَقًّا إِنَّهُ تَقِيٌّ وَرَغٌ زَاهِدٌ ، رَفَضَ
الكَثِيرَ مِنَ النَّاصِبِ الْبَرَّاقَةِ . رَفَضَ الْقَضَاءَ وَرَفَضَ
الْخِلَافَةَ ، عَلَى مَا فِيهِمَا مِنْ نَفُوذٍ وَجَاهٍ وَثَرَاءٍ .

ابْتَسَمَ وَالِذَّهَ وَقَالَ : ثَرَاءٌ !! كَانَ الْمَالُ آخِرَ مَا يَهْمُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَقَدْ كَانَ الْمَالُ هَمًّا وَكَرْبًا لَهُ .

قال إيهاب : الْمَالُ هَمٌّ وَكَرْبٌ ! كَيْفَ ذَلِكَ ؟

قال والِذَّهَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مِنْ ذَوِي
الدُّخُولِ الْكَبِيرَةِ ، فَقَدْ كَانَ تَاجِرًا أَمِينًا ، وَكَانَ لَهُ
رَاتِبٌ كَبِيرٌ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْخِرْ
لِنَفْسِهِ آيَةَ أَمْوَالٍ ، فَكَانَتْ أَمْوَالُهُ كُلُّهَا حَقًّا لِلْسَّائِلِينَ
وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَتْمَامِ .

يُحْكِي أَنْ جَاءَهُ ذَاتَ يَوْمٍ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ
وَقَطِيفَةٌ ، فَلَمْ يَبْتَ لَيْلَتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالَ
كُلَّهُ ، حَتَّى الْقَطِيفَةَ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَلَمْ يُقِ

فى بيته ولا درهم واحد . وفى صباح اليوم التالى كان عبد الله بن عمر بالسوق ، يشتري بالدين علفا لدايته .

تعجب إيهاب عجا كثيرا ، فأكمل والده : ليس هذا فقط يا بنى ، فقد كان الزهد من أبرز صفات عبد الله بن عمر ، فكان يصدق فى المجلس الواحد . بثلاثين ألف درهم أو يزيد عليها . وكان لا يأكل إلا ومعه على مائدته فقراء أو أيتام . وكان الفقراء يعتمدون أن يجلسوا فى طريقه ، حتى يراهم فيدعوهم إلى طعامه .

وتحكى زوجته أنه إذا لم يجد من يشاركه الطعام من الفقراء أو المساكين أو الأيتام ، أبى أن يأكل ، ونام بدون عشاء .

قال إيهاب : حقا إنه ابن سيدنا عمر بن الخطاب .

قال والدّه : وكان دائما ما يعيبُ على أبنائه
دعوتهم الأغنياء دون الفقراء ، فيقول لهم :

- تدعون الشّباع وتدعون الجّيع ؟

وجاء ذات يوم صديق له بدواء ، هديّة من
العراق . وعند ما علم أن هذا الدّواء مهضم للطعام ،
صجك وقال :

- يهضم الطّعام ؟ أبى لم أشبع من طعام قطّ ، منذ
أربعين عاما . ولم يكن الزّهد فقط من أبرز سماته أو
صفاته ، فقد كان عابدا يكثر من الصّلاة وتلاوة
القرآن ، ويذكّر ربّه كثيرا . وكان لا يدعُ قيام
الليل ، أو استغفار السّحر كيفما كانت الظروف ،
ولذلك قصّة .

تساءل إيهاب : أيّة قصّة يا أبى ؟ أخكها لى .

قال والده : عندما كان عبد الله شاباً لم يتزوج
بعد ، كان ينام في المسجد ، وقد رأى في منامه
رؤيا يحكيها لنا فيقول :

- رأيت على عهد رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - كان بيدي قطعة من استبرق ، وكأني لا
أريد مكاناً من الجنة ، إلا وطأت بي إليه ، ورأيت
كان اثنين أتاني وأرادا أن يذهبا بي إلى النار ،
فتلقاهما ملك فقال :

- لا ترع .

فخليا عني .

وحين قصت أختي السيدة حفصة ، الرؤيا على
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

- نعم العبد عبد الله ، لو كان يُصلى من الليل

فيكثر .

ومنذ ذلك اليوم كان عيد الله بمن غمر ، لا يدغ
قيام الليل ، ولا يتكاسل عنه ، سواء أكان في حل أو
ترحال .

قال إيهاب : هنيئا لمن كان في مثل أخلاق عيد الله
ابن غمر ، فهو مثال يحتذى به في التقى والورع
والكرم والجود والتواضع والاستقامة والمثابرة على
العبادة .

قال والده : وهذه الأخلاق الحميدة التي ذكرتها يا
إيهاب ، كانت هي التي أبعدته عن الفتن والنزاعات ،
بين أنصار علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .
فاحتزل الخلافات ، واتخذ موقفا محايدا ، وجعل
شعاره :

من قال : حي على الصلاة أجبته .

ومن قال : حي على الفلاح أجبته .

ومن قال : حى على قلب أخيك المسلم وأخذ
ماله ، قلت لا .

وفى العام الثالث والسبعين من الهجرة ، توفى عبد
الله بن عمر ، وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وقد
وصفه معاصروه فقالوا :

— مات ابن عمر ، وهو فى مثل عمر فى الفضل .

قال إيهاب : شكرا لك يا أبى على هذه القصة
المفيدة ، المليئة بالعبير والعظات .

وفى اليوم التالى عاد إيهاب من المدرسة فرحان ،
وقال : الحمد لله يا أبى ، فقد نجاني الله من تلك
المهمة الشاقة التى كلفت بها ، فلقد وجد أسامة
قلمه ، و كان قد نسيه فى البيت .

سأل والده : وهل اغتذر لأيمن ؟

قال إيهاب : نعم ، اغتذّر له على مرأى وسمع
من جميع أصدقائنا .

قال والده : حسناً فعل . وأرجو يا إيهاب أن تتعلّم
من موقف أسامة الخاطي ، فلا تسارع باتهام أحد ،
وانت غير متأكد تماماً من اتّهامه . فقد قال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .